



كلمة الأب هادي محفوظ، رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

افتتاح مؤتمر "الإصلاح الطقسي في الكنائس الشرقية"

١٧ نيسان ٢٠١٢

يسرّ جامعة الروح القدس – الكسليك أن تستضيف هذا الحضور الكريم، في إطار التفكير المعمق حول الإصلاح الطقسيّ في الكنائس الشرقيّة، كما يشرفها كثيرا أن يكون صاحب الغبطة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي الكلي الطوبى قد ارتضى ان يرعى هذا المؤتمر وأن يكمله بحضوره الأبويّ. ويتضاعف الفرح برؤية علماء كبار من الكنيسة الرومانيّة ومن الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة يشاركون في أعمال هذا المؤتمر مضيفين عليه جديّة علميّة.

معكم أودّ التفكير حول عنوان المؤتمر، "الإصلاح الطقسيّ"، وحول مكان انعقاده.

أعود إلى المجمع الفاتيكاني الثاني، وتحديدًا الى الدستور في الليتورجيا المقدّسة القائل: "لهذا كما أرسل الأب المسيح، هكذا أرسل هو رسله وقد امتلأوا من الروح القدس، لا ليبشروا بالانجيل كلّ خليقة ويعلموا أنّ ابن الله قد حرّزنا بموته وقيامته من سلطان الشيطان والموت، ونقلنا إلى ملكوت ابيه فحسب، بل ايضا ليمارسوا عمل الخلاص هذا الذي اعلنوا عنه، بالذبيحة والأسرار التي تدور حولها الحياة الطقسيّة" (عدد ٦). فموضوع التفكير في هذا المؤتمر يطال حياة كلّ واحد منّا، كمؤمنين، يذكّرنا بقدسيّة العمل الليتورجيّ، يعود بنا إلى الأصل والينبوع، إلى كينونة العبادة عند كلّ واحد منّا، فتكون اعمالنا الدينيّة منسجمة كلّ الإنسجام مع واقعنا الإيمانيّ الشخصيّ والجماعيّ، حيث نعبد

الله الحيّ، بابنه ربّنا يسوع المسيح، مهتدين في ذلك بروحه القدّوس. تعبّر ليتورجيتنا المارونيّة عن فكرة العبادة هذه بصورة جميلة حين تقول: "هو صوتين عيري روما لتشمشتو دارعونوي وامرين كما بسيم قلو ديلداو دودوم عفزنو دبكنور روحن ميبين لمهون شوبجو وتاوديتو" التي ترجمتها: "ها إنّ ملائكة العلى يصغون إلى خدمة الأرضيين ويقولون كم هو عذب لحن ابناء آدم الترابي الذين بكنّارات روحيّة يؤدون لرّبهم المجد والشكران".

أمّا الاصلاح، فقد نادى الكنيسة به ومشى على دربه، خاصّة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. فقامت ورش اصلاح في مختلف البلدان والكنائس. وككلّ اصلاح، ولّد الاصلاح الطقسيّ ديناميّة عند البعض ومقاومة عند البعض الآخر. في كلّ الليتورجيات والكنائس، أعجب الكثيرون بالتغيّرات وانتقد آخرون الحلل الجديدة التي ألبست للأعمال الليتورجيّة. ولا شكّ في أن الروح يرافق الكنيسة في جميعها. فمن اجل تلمّس خطى ثابتة في ورشة التغيّرات، أستعذب التذكير بمبدأ قاله المفكّر المسيحيّ الكبير بول ريكور: "يجب ان نقاوم الماضي، كما يجب ان نسمح للماضي بأن يقاومنا". حسبنا أن نهتدي أيضًا بكلام قداسة البابا بندكتوس السادس عشر الذي يدعونا إلى ان تكون الليتورجيا فعالة ومحدثة للتغيير، في اطار العلاقة بين التجدد الليتورجي وتجدد كلّ حياة الكنيسة: "للأسف، أعتبرت الليتورجيا، حتى منّا نحن الرعاة والخبراء، موضوعًا، مفعولًا به، علينا اصلاحه، أكثر منه فاعلًا قادرًا على تجديد الحياة المسيحية... فالكنيسة تستقي قواها الحيّة في الليتورجيا" (خطاب إلى المشاركين في المؤتمر حول الليتورجيا، ٦ ايار ٢٠١١).

لذلك إنّ موضوع التفكير في هذا المؤتمر، جليل جدّا، حريّ بكلّ أحد أن يتابع موضوعاته ويعمّقها. ويُضاف إلى ذلك، مكان انعقاد هذا المؤتمر.

فجامعة الروح القدس - الكسليك، لبنانيّة، كاثوليكيّة، مارونيّة، رهبانيّة تنتمي إلى الرهبانية اللبنانية المارونية. وليس في هذه الصفات جميعها ايّ انغلاق بل ترسخ في هويّة تفتح على كلّ الهويّات. أردت هذا التحديد لجامعتنا لأقول كم همّها الوطنيّ واللاهوتيّ والليتورجيّ والدينيّ والرهبانيّ والمسيحيّ كبير. هي التي عرفت بنشئها، وجوقتها، وليتورجيتّها، وكلّيتها اللاهوتيّة، وغيره.

لذا، بداية هنا، اوجّه شكري الكبير الكبير إلى حضرة الأب عبدو بدوي، مدير معهد الليتورجيا. فكم أعتبر فكرة انعقاد هذا المؤتمر مبدعة وخلاقة ومحقة. هذا سبب جامعيّ امتدحه لأجله. ولكنني لا أخفي أنّ هناك سببا شخصيّا. فكم تقّت أن أقف هذا الموقف، أي أن يتاح لي أن اتكلّم ولو قليلا عن الاصلاح الطقسي الماروني وجامعة الروح القدس - الكسليك. تقّت إلى هذا الموقف لأنّه يروي عطش الإقرار البنوي بعرفان الجميل تجاه آباء عملوا وعلموا، فورثنا الخير من عمل أيديهم، ولم يتسنّ لأحد، حتّى الآن، شكرهم علانية. إنّ عرفان بالجميل منّا نحن أبناء الرهبانية اللبنانية المارونية، ومن جميع من يشعرون بفضلهم كلّما وعوا أنّهم يصلّون من الحانهم ومن نصوصهم.

فمكان انعقاد هذا المؤتمر رمزيّ كثيرًا. لقد ساهم الكثيرون الكثيرون، من أبناء رهبانيتنا، كما من خارجها، في أن تصل الحالة الطقسيّة في الكنيسة المارونيّة إلى ما هي عليه، واعتقد أنّ هذه الحالة هي من بين افضل الحالات ليتورجيّا، في العالم كلّه. أفكّر في من تعبوا في الحقول كافّة من ليتورجيا وموسيقى وفنّ ونثر وشعر، وجوقات، قبل قيام معهد الليتورجيا ومعهد العلوم الموسيقيّة (كليّة الموسيقى حاليًا) وبعده، من رهبان ومن غير رهبان. ولكن، اودّ خاصة التوقف عند الفريق الذي وضع الكتب الطقسيّة في السبعينيّات والثمانينيّات. فالحق يقال، إنّ الفريق الذي اطلق ورشة العمل الاصلاحية الطقسية، من خلال معهد الليتورجيا ومعهد العلوم الموسيقية في جامعة الروح القدس الكسليك، فكوّن النصوص والالحن والبنى الطقسيّة في اوائل السبعينيّات وحتى اوائل الثمانينيّات، له الفضل الكبير بأن لدينا الآن ما لدينا من نصوص وألحان. هل يخفى على أحد أن القسم الأوّل من القداس الماروني، على مدار السنة الطقسيّة، هو، في غالبيّته، نتاج عمل أيديهم؟ وأنّ غالبيّة الرتب الطقسيّة في الأعياد المهمّة هي أيضا منهم؟ وأكمل بعدهم كثيرون المسيرة، في الجامعة وخارجها، فللجميع شكر عميق لأنهم أمّنوا لنا مكان عبادة ليتورجية خيّرة. وعاون كثيرون فريق العمل هذا، من رهبان، آباء واخوة، وغير رهبان، لدرجة أنّه يصعب الدخول في الأسماء. ولكنني على يقين بأننا نستطيع، لأن فينا عرفان جميل، ان نخصّ بعض الكبار من فريق العمل هذا الذين وضعوا لنا الكتب والرتب الطقسيّة. اريد اولا ان اتوجه إلى روح الاب روفيل مطر فاستعير قول الشاعر الكبير سعيد عقل حين مدحه فقال: "قالوا: شعري يمجدّه. قلت لا، أنا شعري به يتمجد". فكلّ كلمة تغامر في

امتداح الاب روفائيل مطر تحجل حين تلاقي في رحلتها كلماته وصوره الشعريّة. ارى نفسي مسحوقه امام محاولة شكرك ايها الراهب الجليل الذي نقلت الينا في لغة عربية قلّ نظيرها نصوصا سريانية، ابقت على الالحان السريانية التي ورثناها من اجدادنا. فخرجت من قالب فكرك ولغتك نصوص، يستحيل، بحق، المساس بها. فشكرا لك يا افرام عصرنا. كم احبنا تواضعك وحضورك وصلاتك اليوميّة وسجودك المتواصل امام القربان، يوم كُنّا اخوة دارسين. وحييسنا الحبيب الاب يوحنا الخوند الذي كان حاضرا ومنسقا وشاعرا لبنانيا من الطراز الاول. والاباتي يوحنا تابت مؤسس معهد الليتورجيا ، واضع البنى الليتورجية والمشرف على اعمال ورشة العمل هذه. والمرحوم الاب لويس الحاج مؤسس معهد العلوم الموسيقية وناظم الالحان والعالم الموسيقي الأول في المشرق العربي والمرجع الأكاديمي العالمي في الألحان السريانية المارونية ومعلي البنيان في جامعتنا الحبيبة. والاب عبدو بدوي مدير معهد الفن المقدس ومدير معهد الليتورجيا الذي زَيّن الكتب الطقسيّة برسوم وايقونات. اعود فأقول إنّ كثيرين آخريين ساهموا في وضع نصوص وقراءات وساهموا في امور عمليّة اخرى، حتى يومنا هذا. فلهم جميعا الشكر وعرفان الجميل. ولكن، في اجواء القيامة حيث للنسوة دور خاص، يطيب لي ان اذكر راهبتين فاضلتين من رهبانية القليلين الاقدسين، عاشتا في خضم ورشة العمل هذه، عنيت بهما الاخوت ماري فكتور رحمها الله والاخت مارسيل هدايا، امينة سر معهد الليتورجيا، اطال الله بعمرها.

اختتم، كما بدأت، بالشكر. أشكر الربّ على ما يعطينا، على دالّة الأبناء التي يمنحنا إيّاها وعلى عبادة يؤهّلنا للقيام بها. أشكر كلّ الذين تعبوا في الحقل الطقسيّ في جامعتنا، وأشكر المؤتمرين ومنظمي المؤتمر على عملهم العلميّ الرائع. أشكر جميع المقامات المدنيّة والروحيّة الحاضرة بيننا، خاصّا بالذكر اصحاب السيادة السامي احترامهم. كما أخص بالذكر سيادة المطران مار يوليوس ابراهام تكانات، من الكنيسة الملتكارية الكاثوليكية، الآتي الينا من الهند للمشاركة في هذا المؤتمر. وأوجّه تحية بنويّة إلى قدس الأب العام الاباتي طنوس نعمة السامي الاحترام، وهو اليوم خارج لبنان، والممثل بيننا بحضرة النائب العام الاب اميل عقيقي وحضرة الآباء المدبرين الجزيل احترامهم. وأشكر صاحب الغبطة مار اغناطيوس يوسف الثاني يونان الكلي الطوبى الذي شرفنا بحضوره بيننا. ويا

صاحب الغبطة، راعي هذا الاحتفال، مار بشارة بطرس الراعي الكليّ الطوبى، لكم من جامعتنا كلّ
الشكر على رعايتكم هذا المؤتمر، وعلى حضوركم. إنّ صلاتنا ترافقكم في كلّ أعمالكم وفي كلّ
همومكم من أجل خير شعب الله وخير وطننا الحبيب لبنان. إنّنا نفرح كثيرا كثيرا بحضوركم.
اصلاح طقسّي في جامعة الروح القدس - الكسليك، مؤتمر ومشهد جميلان. وشكرا.